الأبعاد السياسية والدينية لمفهوم العدالة عند الكواكبي

الباحثة / مى مجدى سعيد الهواري

لدرجة الماجستير بقسم الفلسفة

الاستبداد عندما يوجد في أمه، لا ينحصر الحديث عنه في ركن واحد أو شخص معين يكون هو مصدر الاستبداد ولكن لأن نشأته هو جمله من الأسباب ولتلك الأسباب أعوان هم مُنفذين وأعوان للمستبد فهو موضوع متشابك الأطراف ؛ بحيث لا نستطيع تحديدة في جوانب محددة، فإذا وجِدَ الاستبداد فأنه لا ينحصر في هيئه واحده أو شخص يعمل على أن تكون سيطرته على كافه أرجاء الدولة لكي لا يجد ما يعكر صفو أقامته فيها ، فهو كهيئة اشتراكية ولكن ليس بالمعنى الذي جاء به الدين الإسلامي ، حيث يكون الحاكم في الدولة المستبده صاحب الكلمة ولكن حكومته أعوان له يشاركون بعضهم البعض في المحافظة على استمراريه ذلك الاستبداد ، وهذا عكس ما جاءت به شريعتنا التي جعلت من الحاكم وحكومته متشاركون في الحكم ، والكلمة الحاسمة لما يوافق الشرع أولاً الذي دائما وابدا ما يؤدي إلى الحق الذي به تستقيم حياه الأمة .

ورغم ما أكدته الشريعه من أشتراط العدل وضرورته لاستقامه الحياه إلا أن التنفيذ في الحياه الواقعيه كان عكس ما جاءت به الشريعه وكلما بعد العهد عن صحيح الدين وجوهره الاخلاقي كلما أشتد العلم وساد الاستبداد ، ولما كان الاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط ، نجد أن بعض الملوك والامراء قد ورثوا هذا الاستبداد عن أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان ، عن نمارده بابل وفراعنة مصر ، فالإسلام اول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته اشد المقاومة ، وساوت بين أفراد الأمة وحافظت على الحقوق والحرية الشخصية "[1]"، والكواكبي رجل فكر مسلم عربي محارب للاستبداد مناهض للحرية ، فقد استطاع من منطلق مرجعيته الدينية أن يحصر أسباب الاستبداد ويتحدث عنها .

فيقول بدايةً " لا أقصد في مباحثي ظالمًا بعينه ولا حكومةً أو أمة مخصصة إنما أردت التنبيه لمورد الداء الدفين ،عسى أن يعرف الذين قضوا نحبهم ،أنهم هم المتسببون لما حل

[1] إسماعيل أحمد ياغي : الدولة الإسلامية في التاريخ الإسلامي الحديث ،العبيكان للنشر – الرياض ،١٩٩٥، ص١٢

بهم ،وعسى الذين فيهم بقية رمق من الحياة يستدركون شأنهم قبل الممات "[٢]" ، معلوم لدى الجميع أن الكواكبي عدائه الأول للأتراك وظلمهم فربما أراد أن يقول أنه لا يقصد حكومة معينه حتى لا يعاديهم صراحاً إلى جانب كونه يريد أن يمحي الظلم عن سائر الأمم ولاسيما العرب المسلمون أولا .

تحليل الكواكبي لأنواع الاستبداد ومواجهتها :-

١-نقده للإداره الحاكمه

لقد انتقد الكواكبي في كتابه (أم القرى) الإدارة العثمانية مذكراً بمركزيتها الشديدة ، وكان الكواكبي من أوائل الدعاة إلى اللامركزية الإدارية"[٣]" ، فكان رائد الدعوة اللامركزية التي جهر بها (حزب الائتلاف والحرية) "[٤]" وكانوا ينادون بالائتلاف لتكوين السلطنة من الشعوب المتآلفة مع استقلالها بحكوماتها الذاتية ، وينادون بالحرية لتغليب حقوق الشعوب في سياسة أمورها على حقوق السلطنة المتفردة بالحكومة المركزية"[٥]" .

فاللامركزية في الحكم من شأنها أن توقظ الهمم للمشاركة في إدارة الدولة وتمنع التعسف في الحكم فالحكومة المركزية يكون لها هيمنه على أفراد الدولة ، المتمثلة في الحاكم لذلك كان الكواكبي معاديا لها لأنه وجد فيها منشأ للاستبداد ، ولذلك سار وفق ما تقر به السياسة الإسلامية القائمة على المشاركة في الحكم وليس الذاتية حتى لا تكون سلطاته مطلقه ليس لها رقيب ولا حسيب و لأن الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع العيش بعزله وتلك ثمة الاشتراك في البشرية منذ الخلق ، ولذلك كانت الحاجة إلى وجود مجالس نيابية مشتركة في إدارة الدولة هو أساس القضاء على الاستبداد .

وإذا نظرنا بدقه في أدوار الحكومات الإسلامية منذ عهد الرسول إلى الأن نجد ترقيها وانحطاطها قائمين على قوة أو ضعف أهل الحل والعقد ، واشتراكهم في تدبير شئون الأمة

---

[٢] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، مصدر سابق،ص٩

[٣] فراس البيطار : الموسوعة السياسية والعسكرية ،مرجع سابق ،ص ٧٨٤.

[٤] بعد هزيمة الاتحاديون في انتخابات عام ١٩١١م أدت إلى تولي حزب الائتلاف والحرية مقاليد الحكم في الدولة العثمانية ، والذي كان من مبادئه نشر نظام اللامركزية في الولايات العربية ، أحمد صدقي علي شفيرات : تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨م ،دار خالد الليحاني للنشر- السعودية ،٢٠١٦م، ص٨١ .

[٥] عباس محمود العقاد : عبدالرحمن الكواكبي ، دار كتاب للنشر ، ١٩٨٦م ،ص١٤.

"[٦]" ، لذلك كانت الحاجة إلى الاشتراك في أمور الحكم لا تقل أهميه عن الدقة في اختيار الأشخاص القائمين بذلك فيجب أن يكون اختيارهم على أسس لا تقبل التهاون إذا شابتهم شائبه فهم المراجعون والقوامون للحاكم.

أما الوزراء الذين يمكن أن يستعين بهم أصحاب الملك المطلق القهري ، فهم في الحقيقة ،أدوات تنفيذ لأغراض ملوكهم لا قدره لهم على معارضتهم معارضه تقتضي أغماد سيف الشهوة لأنهم بين ناب الليث وظفره "[٧]" ، لذلك فهو يحسن اختيارهم لمعاونته فيختار أشر الناس وأكثرهم انحلالاً أخلاقياً وبعداً عن الدين ليكونوا خير منفذين لأوامره فالناس على دين ملوكهم ، لذلك فأن الحاجة إلى مجالس نيابية لا خلاف عليه ولا غنى عن أهميتها.

وأشار الكواكبي أن من أسباب وجود الفتور واللامبالاه عند الرعية هو توحيد القوانين والقواعد بين الجميع دون مراعاه الفروق الفرديه و الزمانيه في الوقت الذي تختلف فيه طبائعهم وعاداتهم ، وإمكانية تغيير القوانين إذا اقتضت المصلحة ذلك ، والشاهد الأبرز في ذلك مدى الحرص على عدم الوفاق بين الوالي ورعيته فيختارون من يختلف عنهم في العادات والأخلاق ،كذلك في الجندية وعلماء الدين"[٨]" ، فلم يكن يوما الشدة الدامية ولا اللين المفرط سبب لنجاح لسياسة دولة ، ولكن تمسك الدولة العثمانية بذلك النظام لم يكن سوى تثبيت لسياستها الظالمة ، فسياستهم قائمه على التفرقة بين الوالي ورعيته فيكون من جنسيه مخالفه فيكون لكل منهم عادات وتطبيق للقوانين يختلف من ثقافه أمه لغيرها ، وهذا الوضع يخلق البغيضة والكره بينهم فيأمن السلطان غدرات الزمان من حيث انقلاب الولايات عليه تاركاً رعيته تُعاني هى تبعيات ذلك الاختلاف .

---

[٦] عبدالله محمد مرشد :فكرة الإصلاح الديني والاجتماعي ،وعلاقتها بالاتجاه النقدي التنويري في الفكر العربي المعاصر(الكواكبي – محمد عبده – زكي نجيب محمود) ،رسالة دكتوراه ، جامعة أسيوط –كليه الآداب ، ٢٠٠٥،ص١٤

[٧] فهمي جدعان :أسس التقدم عند مفكري الإسلام ،مرجع سابق ،ص١٤٩ .

[٨] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ،ص ٤٢٤ -٤٢٥.

٢-نقده لرجال الدين (متشددين – متبسطين)

ومن هذا المنطلق تبدلت الأخلاق وخرج الدين عن مفهومة وظهر المفسدون من رجاله أصحاب النفوس الضعيفة فهم خاضعيين للسلطان متملقين للتمجد في الدولة يكفيهم ذكر أسمائهم ضمن حاشيه السلطان ويتمتعون بالنفوذ والسلطة متناسين وظيفتهم الأولى وهى إظهار الدين على الوجه الأمثل للمسلمين وتوضيح أنه لا ينفصل عن أي جانب من حياتهم ، وأستغل أصحاب السلطة ذلك فأنعموا عليهم بالأموال والألقاب ، ولم ينجو من ذلك الفخ الذي يقع به أهل العلم ويعتادون ويصبحوا عاجزين عن الرجوع منه إلا قله قليله.

على سبيل المثال عندما أراد السلطان أن ينعم على الأفغاني برتبه قاضي عسكر أبى ، وقال للمبعوث "قل لمولاي السلطان إن جمال الدين يرى أن رتبه العلم أعلى المراتب "[٩]"، فهو يفهم أن علماء الحق هم أداه التقويم الأولى للأمراء والولاه ، ولكن أعوان الفساد لم يكن نهجهم هو الحق الذي لا يختلف باختلاف الحكومات والرغبات فأصبحُ خاضعين لسيطرة الحكام وبدلا من أن يكونُ وسيله لإرجاعهم عندما يحيدون عن الحق أصبحُ طريق يُمهد لهم سبل الوصول لغايتهم متناسين أن الدين ليس لأحد سلطان عليه فهو جاء للمسلمين جميعا وغايته تحقيق الخير للمسلمين خاصة والعالم عامة ، إلا أنه بسبب استغلالهم للدين وظفوا الدين لتحقيق مصالحهم وأضافوا إلى الدين ما ليس منه به حتى أصبحوا لا يستطيعون فهمه .

ولقد سطا على الدين المستبدون والمترشحون للاستبداد ، واتخذوه وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعًا، وجعلوه أله لأهوائهم السياسية"[١٠]"، فإذا كان يوجد مِن الحكام مَن يعمل على إخضاع العلماء له لتيسير استبداده فأنه يوجد أيضا العلماء المفطورين على الشر فهم شر الأعوان والبلية ؛أنهم ينفثون في صدور الأمراء لزوم الاستمرار على الاستبداد بالرأي ويلقون عليهم بأن مشاركة الأمة في تدبير شئونها ، وإطلاق حرية الانتقاد لها ، يخل بنفوذ الأمراء ، ويخالف السياسة الشرعية"[١١]" ، فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم نفوذ عظيم به

[٩] سمير حلبي :الأفغاني ...مصلح رغم الجدل ، موقع ارشيف إسلام أون لاين ،٥شوال ١٣١٤ه. www.archive.islamonline.net

[١٠] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق ،ص٣٤ .

[١١] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق، ص ٣٥٠ .

أفسدوا كثير في الدين ، وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيعه للعلم والدين "[١٢]"

وأصبح الناس يبحثون وراء جملة في كتاب أو فتوى في مرجع حتى انحط شأنهم"[١٣]" وهجروا الحياه ولجئوا إلى التصوف ظنا منهم أنه المُنجي لهم فهم يشترون الأخرة وبها تُحل مشاكلهم وربما بذلك خسرو الاثنين فالدين يحث على السعي في الحياه والحفاظ عليها ، وليس العزلة والبعد عن ما خلقهم الله لأجله .

ويرى الكواكبي أن المتشددين من رجال الدين مسئولون كالحكام المستبدين عن شيوع التصوف الفاسد بين العامة وأشباه العامة من المسلمين"[١٤]"،فالتصوف هذا لم يكن بالمعنى الذي كان عليه السلف الأول ، ولكن بسبب جمود الدين الذي جاء نتيجة لغلق باب الاجتهاد على المسلمين ماتت عقولهم وجعل الناس يرضون بكل ما يقوله سواء من المتملقين من رجال الدين أو المتشددين ،فأصبحت السمه الطاغية هى التقليد الأعمى والامتثال لأوامرهم ونواهيهم ، دون تفكير أو مراجعة لما يتلى عليهم وهذا أبشع ما ابتليت به الأمه .

فهم حاربوا الناس بدينهم وألغوُ عقولهم كي لا يعرفون حقوقهم بل جعلوا الناس يخشون التفكير في دينهم ، وهكذا بالتمادي في التسلط عظم التشديد في الدين حتى صار أصراراً وأغلالا"[١٥]" ، كأنما الائمه السابقون هم ملائكة لا يخطئون مع أنهم بشر لهم مالهم وعليهم ما عليهم فاجتهاد السابقين كان لعصورهم فأين ما لعصورنا ، فلأختلاف هو سمه العصور فلكل عصر ما يوافقه ويناسب فكر اصحابه والأختلاف هو ما يميز ديننا لأنه يخلق نوع من التراحم والتألف وإذ أختلف المجتهدون يكون في فرع المسألة وليس أصلها وكل مجتهد بما يؤدي إليه اجتهاده القائم على فهمه الصحيح للدين، والقدرة على القياس والخروج بما يواكب العصر ولا يخل بالدين ، فما جاء الخفاء في فهم الدين إلا من شده الوضوح"[١٦]" .

---

[١٢] السيد الفراتي : أم القرى ، مصدر سابق ، ص٣٩ .

[١٣] زينب عفيفي شاكر : الجوانب الدينية الإسلامية في آراء وأفكار أحمد أمين ،المنتدي –مجلة شهرية - ،السنه السابعة عشر ،العدد٢٠٣ ،يونيو٢٠٠٠ ،ص٢١ .

[١٤] عباس محمود العقاد : عبدالرحمن الكواكبي ،هنداوي للنشر – القاهرة ، ٢٠١٨ ،ص١١٨.

[١٥] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ،ص ٣٧٧ .

[١٦] السيد الفراتي : أم القرى ،مصدر سابق ،ص ٦٠.

فالحكمة هنا أن يجعل الله عبادة يتوصلون إلى الحق بنعمة عقولهم التي أنعم بها عليهم فإذا أراد الله جعل كل ما نريده على مر الزمان أمام نصب أعيننا لكان ذلك ،ولكن جاءت السنه توضح أموراً واستخدم القياس ليستشهدون به وفق ما مضى و ليجتهدون للوصول للأحكام فصار العلماء يحاولون مواكبة زمانهم على ما أتاهم من الله مستغلين نعمه العقل والتدبر ،فلم يتركنا الله هكذا دون أن يهدينا السبيل لتطمئن عقولنا وتهدأ نفوسنا للحق .

غير أن بعض ضعيفي الإيمان تطلعوا إلى هذه المنزلة التي هى فوق طاقتهم فصار هؤلاء المتعالون يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يتحمله محكم النظم الكريم"[١٧]" ، فأصبحوا يوهمون المسلمين بوجوب الطاعة والمؤازرة لحاكمهم و يقولون " يا بؤساء هذا قضاء من السماء لا مرد له ، فالواجب تلقيه بالصبر والرضاء"[١٨]" ، متناسيين قول الرسول الكريم " السمع و الطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع
ولا طاعة "[١٩]" .

فالمراد هنا هو الحرص على طاعه الحاكم لما فيه من انتظام المعيشة ولكن طاعته في معصيه للخالق لا تجوز وليس كما يقال وجود الطاعة والاستسلام للقدر ،وأصبح حب التنطع والشطط في بعض الأحكام تشدداً أو استهالاً من أهم صفاتهم ، فكل إنسان يريد تأييد ما يقوله وإذا خرج عن الحد ،فأصبحوا يذهبون بالدين إلى غير موضوعه ، ويحرفون مقاصده ،فتشوشت العقيدة ، فاطمأنت الأمة للتقليد ، لأنهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أستر للجهل"[٢٠]" ، فأصبحوا لا يعلمون كيف يمكن أن تسير حياتهم على نهج سليم ، وهذا أشر ما تقع فيه الأمة .

---

[١٧] السيد الفراتي :أم القرى ،مصدر سابق ،ص٣٤٢.
[١٨] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق،ص٦١ .
[١٩] صحيح البخاري :كتاب الأحكام ،باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ،رقم ٦٣٨٦،ج١١،مصدر سابق ،ص٣٦.
[٢٠] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق، ص ٤١٣

٣-نقده لرجال القضاء:

ومن رجال الدين إلى رجال القضاء لم يكن الحظ أفضل ،فإذا كان فقهاء الأمة وعلمائها هكذا فكيف حال المنفذين لتشريعاتهم ؛فبسبب فساد القضاة وميلهم عن الحق كانوا سبب في ذهاب كثير منهم إلى تطبيق القوانين الأوروبية في بلادهم ، وذلك بما اقترفوه من فظائع ظلم واستثمار منصة القضاء لأكل الأموال بالباطل وحرمان أصحاب الحقوق بما يخالف الشرع وما اكثر الحيل الشرعية عندهم"[٢١]" .

ان الغاية من القضاء هو إقامة العدل ، فنزاهة القاضي تعتمد على مدى أقامة الدين في قلبه ومدى التزامه به وتوافر الأخلاق الحميدة لديه والضمير الذي يسانده في عدم الإخلال بميزان العدل لإرضاء أحد ، ولكن لم يبقى ذلك الوصف سوى للقلة القليلة ويؤكد هذا رفض الكواكبي أن يحكم عليه في ولاية تابعة للصيادي ،لأن الاستبداد حلقه متصلة ببعضها البعض .

فيقول " هؤلاء قضاه القسطنطينية على عهدنا ،أكثرهم لا يعزلون متوليا أو وصيا لخيانة في مال الوقف أو اليتيم ، إلى غير ذلك من قضايا وأحكام شرعية كثيرة لا يجوز شرعا ولا إدارة إهمالها ... ولم يكفهم هذا القانون ألحقوه بقانون – توجيه الجهات – جعلوا فيه التدريس والإرشاد وسائر الخدمة الدينية كالعروض تباع وتشترى وتوهب وتورث ... فجعل المُتعمُمون قاضي المسلمين وكذلك مفتي المؤمنين في كل بلد عضوين في مجلس الإدارة يحكمان بأشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا وضريبه الخمور"[٢٢]".

وللرد على هذا القول نقول أن المصالح المرسله للدوله الاسلاميه ووجود كثير من غير المسلمين (يهود – نصارى) في حظيرة الإسلام ويقوم المسلمون بحمايتهم والدفاع عنهم فكان لابد من فرض ضرائب على متبيحه شريعتهم وهذا نوع من العدل والانصاف ، وليس ظلماً أو مخالفه لشرع الله .

---

[٢١] شكيب أرسلان : زمن العروبة الأبتر –مقالات لشكيب أرسلان في صحيفة الفتح –مقال بإسم (قاض في لجنه وقاضيان في النار)، الدار التقدمية ، ١٩٣٢/١/١٥، ص١٣٠-١٣١ .

[٢٢] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

ولما كان القضاة هم جزء أساسي من تنفيذ أحكام الدين ، وركن من أركان تحقيق العدل وإدراج القضاء كجزء من السياسة أيضا لا يعني التسييس بالمعنى الحرفي للكلمة ، والاتيان بما لا يلائم الشريعة أو ترك ما تنص عليه الشرعية من أجل تحقيق مصالح للدولة وجعل العلم والمناصب تورث فيه تقليل من مكانته واستهانه بوظيفته وفتح الباب امام شراذم الأمه وأصبحوا ضمن هيئه العلماء يقولون ما لا يعلمون ، ويفعلون مالا يدركون ،وبذلك يكون فتح باب التمجد بالأنساب أمام ضعاف الدين قلال الهمم فكما تورث الاخلاق أصبح الاستبداد يورث أيضا لأنهم أستخفوا بنعم الله علينا أليس العقل والقضاء هبه من الله أنعم بها علينا أعطانا العقل لنعقل ونتدبر بالعلم نعي نعمه وإعجازه في الخلق وبالقضاء تصان الحقوق والأرواح .

لذلك أكثر علماء تاريخ الأديان يربطون بين الاستبداد السياسي والاستبداد الديني ، فهم يرون أن الاستبداد السياسي جاء من الاستبداد الديني ، وهم يعللون لهذا الترابط ؛ بأن التعاليم الدينية تدعو لخشية قوة عظيمة ، أن السياسيين يبنون كذلك استبدادهم على أساس من هذا القبيل ، وهذا ما سهل في الأمم المنحطة دعوى بعض المستبدين الالوهية"[٢٣]" ،وهكذا أصبحت تشوه صوره الاسلام ويساء فهم الامم الأخرى له فالسلطة الدينية ليست بيد بشر فما هم إلا منفذين لما جاء من عند الله من تشريع أما السلطة الدنياوية فهى ما جائت سوى لكي تصل بنا إلى المراد من الإنسان على وجه الارض وهو تهيئته للحياة الآخرة ؛وإذا جعل الله من العباد ملوك على ملكه فليس معنى ذلك أن ينصبوا انفسهم الهه على خلقه ، ومن الواضح هنا أن الكواكبي يعمم المفاسد على القضاه ويعتبر أن رجال الدين هم سبب فساد الحكام أيضاً سبب في فساد رجال الدين بشرائهم لذممهم وتقريبهم إلى سلطانهم ، وإذا كان هذا هو الحال مع الدين فكيف هو مع العلوم العقلية ؟

التي تنير العقل وبها تبصر العين لما لها ، إن خوف المستبدمن غضب وثورة رعيته أكثر من خوفهم من بأسه ، لأن خوفه ينشأ عن علمه بما يستحقه منهم"[٢٤]"، فمهما بلغ الحاكم من

[٢٣] السيد يوسف :عبد الرحمن الكواكبي - رائد القومية العربية وشهيد الحرية ،مرجع سابق ، ص ٥٦-٥٧ ،أنظر أيضا عبدالرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: مصدر سابق ص٢٥.

[٢٤] عبدالرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: مصدر سابق ص٥٠

الاستبداد فلا يعميه ذلك عن سقطاته وظلمه فهو أعلم الناس بضلاله.

يقول رفاعة الطهطاوي " إن البلاد الإسلامية قد برعت في العلوم الشرعية والعمل بها ، وأهملت العلوم الحكمية بجملتها فلذلك احتاجت إلى البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفة، وجلب ما تجهل صنعه"[٢٥]"، ولكن هل النبوغ في الشرع يقابله الرجوع في العلوم التي تنير للإنسان حياته وتأخذه إلى التقدم ومواكبه العصر ، والطهطاوي لا يرى أن التقدم في العلوم الشرعيه هو سبب أخفاق المسلمين في العلوم الحكميه ولكن يأخذ على العلماء اسرافهم وأقتصارهم على تلك العلوم الشرعيه وأهمال العلوم الحكميه أخر تقدم المجتمعات وأدى إلى تخلفها عن الدول الغربيه التي اعتنت بتلك العلوم فتقدمت وسادت العالم وتحكمت فيه ولو أنهم فهموا الدين فهماً صحيحاً لتقدموا في العلوم المختلفه أذ أن الدين يحث على العلم والتعلم وأعمال العقل للنبوغ في كل جوانب الحياه .

وأشار إلى ذلك أيضا الكواكبي بقوله " المستبد يخشى العلم ، ويجتهد في أطفاء نوره ، فترتعد فرائض المستبد من علوم الحياة ؛ مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية ، وحقوق الامم ، وكذلك لا يخاف المستبد من العلوم الدينية التي تنص على العلاقة ما بين الإنسان وربه وذلك لاعتقاده أنها لا ترفع غباوة ، ولا تزيل غشاوة"[٢٦]" ، فهو يعلم أن عمل رجال الدين مقتصر على الحديث عن ظاهر الدين من الصلاة والصوم ووجوب أطاعه الحكام وغيرها مما لا يدخل في صميم الدين نفسه ، فارتبط الفتور في الامه بضياع العلم والقضاء على الفكر ، والاعتماد على سياسة القهر والتفرد بالحكم وإدارة البلاد"[٢٧]"

فالعلم هو أناره للعقول فأول أيه نزلت على الرسول الكريم حثته على القراءة ،لذلك أول ما تسعى حكومة الاستبداد للقضاء عليه إلى جانب الدين هو العلم وهو ما عانى منه الكواكبي بسبب سعيه إلى انارة العقول فلو لم يكن الكواكبي يسير في الحق ويعي جيدا دوره في الحياة من منطلق كونه رجل فكر ، لما كان لحق به ما لحق ، ولو قام غيره من رجال الدين والمصلحون بدورهم لما ذهبت البلاد لما ذهبت إليه ، فهذا شيخ الأزهر محمد الإنبابي

[٢٥] رفاعة رافع الطهطاوي : تلخيص الإبريز في تلخيص باريز ، مؤسسة هنداوي – القاهرة ،٢٠١١ ،ص١٥.

[٢٦] السيد يوسف :عبد الرحمن الكواكبي –رائد القومية العربية وشهيد الحرية - ، مرجع سابق ، ص ٦٠,٦١ .

[٢٧] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ،ص ٤٢٦ -٤٢٧.

تستفيه الحكومة المصرية " هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف ؟ "

فيجيب شيخ الأزهر في حذر " إن ذلك يجوز مع بيان النفع من تعلمها "[٢٨]"، هل هناك إجازه أكثر من أن الله حث عباده على التدبر في الكون لمعرفه معجزات خلقه والتأكيد على كل ما اتى به القرآن الكريم يقول تعالى " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"[٢٩]"

فالمولى عزوجل يحدثنا عن السموات والارض وما عليها وتعاقب الليل والنهار وأن أدراك قدره الله في خلقه والوقوف على أسرار الكون لا يستطيع الوصول إليها سوى أصحاب العقول المفكرة المتدبرين في الكون الساعيين إلى المعرفة ، وجاء في سوره يوسف قوله تعالى "وكأين من ايه في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون "[٣٠]" .

ولكن الكواكبي حاول تجاوز تلك النكبه من خلال الاستعانة بالغرب فيقول " رعاك الله يا غرب وحياك وبياك ، قد عرفت لأخيك سابق فضله عليك فوفيت وكفيت وأحسنت الوصاية وهديت ، وقد اشتد ساعد بعض أولاد أخيك فهلا ينتدب بعض شيوخ أحرارك لإعانة أنجاب أخيك على هدم ذلك السور ، سور الشؤم والشرور "[٣١]" ، فمتى ساعد الغرب الشرقيون لكي يأمل الكواكبي المساعدة منهم ، لقد زخر التاريخ بالسعي الدائم لهم بالسطو على العرب ونهب حضارتهم وخيرات بلادهم ، فكيف سيسعون هم لمساعدته على النهوض ، فلم يكن هناك داعى للاستنجاد بهم ،فنداءه الى أمته ان تأخذ من الغرب ما يتوافق مع تعاليم الدين الإسلامي كان أصح .

ولو أن الدولة العثمانية راعتذ تأسيسها أو أستقلالها بحكم العالم الاسلامي ، وراقبت حركات العالم الغربي ، وجرت معه حيثما جرى في مضمار المدنية والحضارة ، لما كان ثمة

[٢٨] أحمد أمين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي –بيروت، د.ت ،ص٧ .
[٢٩] ال عمران :آية١٩٠
[٣٠] يوسف :ايه ١٠٥
[٣١] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ،ص ٢٨٣.

مسألة شرقية ، وهو تحكم الجهل بالعلم"[٣٢]" ، ولكنها وعت أن جهل الأمه هو من أكبر أسلحتها للسيطرة عليه ، ومن أكبر مصائب الأمه لخضوعها لهم ، وربما ليس الجهل التام هو السبب فقط فتراخي الهمم وعدم السعي للنهوض وعدم أتقان العلم والعمل الذي نتج عن الاستسلام التام للأوضاع القهريه ، فأصبحنا نظن أن العلم بالشئ إجمالا ونظريا بدون تمرن عليه يكفي للعمل به "[٣٣]" ،ولأن الانسان هو من يصنع المجد والتاريخ ، وبإرادته يستطيع أن يقضي على الفاسدين فلا شفقه على وضعا هو منشئهُ.

وإذا كان الدين يهذب النفوس والعلم يهذب العقول فلا وجود للأخلاق في تلك الأمه التي شوه دينها ، وألغى عقلها فيقول الكواكبي " إن الخور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ إلى الشباب ، وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة ، وسقوط الهمة ، والاستسلام ، فيتركون أهل النشأة الجديدة وشأنهم ، لا يستهزئون ولا يعطلون "[٣٤]" ، فلا داعي أن تكون صفات موروثه يتناقلونها فالأفضل أن يسعون لخلق ما فقدوه في أبنائهم فإذا عجزُ هم عن النجاة بأنفسهم لا يكتبونه على أبنائهم.

ولكن أقل ما يؤثره الاستبداد في أخلاق الناس ،أنه يرغم حتى الإخيار منهم على ألفة الرياء والنفاق ، فلا اعتراض ولا انتقاد"[٣٥]" ، ففقد التربية أدى إلى إهمال طلب الحقوق العامة جبنا ، وخوفا من التخاذل ، وغلبة التخلق بالتملق تزلفا وصغارا"[٣٦]"،والطامة الكبرى ان الإنسان إذا لجأ إلى الرياء وغيرها من الصفات الخلقية البغيضة لآنه وجد أنها الطريق للوصول إلى مبتغاه سيعتاد عليها ، وسيموت شعوره بالقدرة على إنجاز عمل بدونها ومن هنا تفسد الاخلاق نهائيا وتصبح طابع له .

لقد ذكر رشيد رضا أن الكذب والحسد والنميمة هما من الأمراض الروحية التي تفسد نظام الأمم ، وتمزق نسيج ألتئامها ، فنتيجة لهما تمحى الثقة بينهم وتقطع صلات الأرحام من

---

[٣٢] جمال الدين الحسين الأفغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى ،إعداد وتقديم سيد هادي خسرو شاهي ، مرجع سابق ،ص٨٠ .

[٣٣] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ،ص٤٣٣.

[٣٤] المرجع نفسه ،ص ٤٣٩ .

[٣٥] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق،ص٨٣ .

[٣٦] السيد يوسف :عبد الرحمن الكواكبي –رائد القومية العربية وشهيد الحرية ، مرجع سابق ،ص٥٤.

الحسد ، والنفاق الذي يذهب بهاء المحمدة الحقة من الوجود"[٣٧]" ، وتلك الأمراض تنشأ من فساد المجتمع فنتيجة عدم وجود عدالة اجتماعية وتفرقة بين فئات المجتمع من الطبيعي أن توجد النميمة والبغضاء والحسد لأنهم يتمنون أن يكون لهم نصيب من خير بلادهم ولقله حيلتهم فيسترضون نفوسهم بكلمات ينفثون بها عن ما في صدورهم من عجز

لقد أجمع الأخلاقيون على أن الملتبس بشائبة من أصول القبائح الخلقية لا يمكنه أن يقطع بسلامة غيره منها ،فيفقد الأسراء ثقتهم ببعضهم البعض ،وينتج عن ذلك أن الأسراء محرومون من ثمرة الاشتراك في أعمال الحياة"[٣٨]" ،لأن من طبيعة البشر إذا تخلق شخص بصفه ظن الناس جميعا يملكونها ،وهذا ما يسمى في علم الاجتماع الإسقاط النفسي .

٤-التربية ودور الأم في التنشئه :

لم يكتفي الكواكبي بذكر أن غياب الاخلاق راجع لغياب الدين وسوء الولاه وفساد أخلاقها ، ولكنه أشار أيضاً إلى الام ومدى تأثيرها فهى الوجهة الاولى للتربية فلنشئ يفتح عينيه على معرفه الدنيا وما يحيط به عن طريقها ويؤكد أن " جهالة النساء من أعظم الأسباب المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولة والصبوة ، ومنها عدم التمرن والألفة ، ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم للاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم"[٣٩]"

فهذه نقطه تحسب للكواكبي أنه فطن لذلك العامل الذي قلما أن يتناوله رجل سياسي ويعده من أسباب تأخر أمه فكما أن الاسرة هى النواه الاولى للطفل فالأم نواه تلك الاسرة ،فكما يقول الرسول " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته "[٤٠]" ، فهمه الامه ومكافحة الظلم الواقع لا تكون بمفكريها فقط وندائهم ومحاربتهم للظالمين بل للأفراد دور في تلقي ذلك الفكر وتنفيذه

---

[٣٧] رشيد رضا : مجلة المنار ،صيحة حق ، المجلد ١ ،ط٢ ،رمضان ١٣٢٧ه ، ٢٣٦-٢٣٧بالتصريف

[٣٨] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،م،ص٨٦-٨٧.

[٣٩] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ،ص ٤٣٢ .

[٤٠] صحيح مسلم :كتاب الإمارة ،باب فضيلة الإمام العادل –وعقوبة الجائر –والحث على الرفق بالرعية – والنهي عن إدخال المشقة عليهم ، مصدر سابق ،رقم ١٨٢٧ ،ص٨٨٦.

فلا فائدة من ما يقال إذا لم يجد أذان صاغيه وأيادي منفذه له ، وذلك بالرجل والمرآه كلاً في دوره المناط به .

وما أبعد الأسراء عن تربيتهم لأبنائهم ، ثم لماذا يتحملون مشاق التربية وهم إن نوروا أولادهم بالعلم جنوا عليهم بتقوية إحساسهم فيزيدونهم شقاء وبلاء"[٤١]" ،فالأسير المستبد يريد أن يورث الاستبداد الى ابنه وان كان لا يريد له تلك الحياه ولكن يخشى وقوعه في دائرة الهلاك لأنه اذا أنار له عقله ثار ورفض العبودية وبالتالي لن تضيع حقوقه ولن يقف في صمت عاجز لا يستطيع الدفاع عن حقه ، فالتربية هى تهذيب للعقول وإذا تم ذلك تترقى النفس وهى دائرة التوجيه للإنسان بها يقبل الانحناء وبها يعيش ابي الإرادة عزيز الكرامة .

ويرى الكواكبي أن الفتور يكمن في الطبقة العليا التي تتساق وراء الأجانب لأنهم يرون فيهم الكمال فيتخاذلون عن الدفاع عن الدين والإلزام به واهمال العادات وحب المنفعة للأخريين والانتصار لبعضهم البعض ، وإذا رأوهم يتباهون بأقوامهم يعجبون بذلك ولكن لا يقوون على ترك التفرنج"[٤٢]"، فلو وجدو من حكامهم ما يربطهم بدولتهم من شعور بالانتماء والحماية لما تدافعو لتقليد الغرب والاحتذاء بهم ولكن ليت ذلك في ما يؤدي الى المنفعة ، ولكن يأخذون منهم ترف الحياه والملذات التي تقضي على العقول فالشرقي مثلًا يهتم في شأن ظالمه إلى أن يزول عنه ظلمه ، ثم لا يفكر فيمن يخلفه ولا يراقبه ، فيقع في الظلم ثانيًة ،أما الغربي إذا أخذ على يد ظالمه فلا يفلته حتى يشلها ، بل حتى يقطعها ويكوي مقطعها"[٤٣]" ؛ وذلك لأن العرب لا يعلمون كيف ينتظم معاشهم ومن أين سيعلمون وهم مستسلمين لخمول العقل متواكلين في معاشهم ،مستسلمين لقول تلك أقدارنا ، أو البعض الأخر الذين يسعون للتمجد ولكن ذلك يكون بالأنساب والتوارث والابداع في الظلم لكي ينال رضا المستبد الاكبر .

[٤١] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة، مرجع سابق ،ص ٢٦٣ .
[٤٢] نفس المرجع ،ص ٤٣٧:٤٣٩ بالتصريف .
[٤٣] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق،ص٩١ .

٥-رجال السياسة

أما رجال السياسة او بعضهم على الأقل ، فهم احد اثنين :إما جاهل بهذا الذي يحدث ، وإما متجاهل له رغبه منه في اطلاق الرئاسة ؛ أي في الاستبداد بالسلطة والحكم حكما مطلقاً غير مقيد"[٤٤]"، فالكل في الدولة يسعى لكي يخرج أقبح ما يستطيع لكي يترقى في المناصب ويثبت أنه أقدر الناس على ان يثق به المستبد فهو ألتهُ المنفذة لما يريد على الوجه الامثل ، فكما يتفاخر الانسان في الحكومة العادلة بأعماله وانجازه لما يرقي دولته يتفاخر المتمجد بإنحطاطه ، والمتمجد كما انه خاضع للمستبد الاكبر فهو مستبد مع من دونه وان كان أهل بيته يمارس استبداده ويشعر بلذة التحكم والاذلال لهم فهو صاحب اليد العليا والامر الناهي لحياتهم فالتمجد هذا هو ما يدفع رجل الدين للإخلال بعظمه رسالته ، والوزير واهل الشورى للتنفيث بالشر في نفوس الحكام وكل ذي مسؤلي في موقعه لا يرى سوى نفسه وتطلعه الى الحصول على جزء من العظمة في دوله الاستبداد .

ومن منطلق اخر المستبد يجرب أحيانًا في المناصب والمراتب بعض العقلاء والأذكياء أيضًا اغترارًا منه بأنه يقوى على تليين طينته وتشكيله ، وإذا خاب وبئس من افسادهم يتبادر إلى إبعادهم أو ينكل بهم"[٤٥]"، فعندما يريد المستبد ان يكشف عن انيابه لأعوانه فما أقوى من ان يسحب منهم مكانتهم فيسرعون الى المحافظة عليها بتقويه فسادهم ، وربما أن توارث الاستبداد من آبائهم لا يعطيهم صفه الابداع فيها فاراد ان يجدد دماء استبداده بعقول يكون لها مردُد اقوى لما يريد .

وجحود الأمة حق العامل ،أو إذا قصرت في استحسان عمله ؛ ضعفت الهمم ، وقل السعي في المصالح العامة ، انقبضت الأيدي عن تعاطيها ، فهبطت شئون الأمه ، فافترقت وماتت"[٤٦]" ، وهذا يندرج تحت الاستبداد ولأن طبيعة البشر قائمه على حب الاستحسان لأفعالهم والشعور بقيمه عملهم كي يتولد دائما لديهم حافز العمل ، ولكن المستبد لا يريد ان

---

[٤٤] فهمي جدعان :أسس التقدم عند مفكري الإسلام ،مرجع سابق ،ص١٣١ .

[٤٥] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، مصدر سابق ،ص٥٤ . .

[٤٦] جمال الدين الحسين الأفغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى ،إعداد وتقديم سيد هادي خسرو شاهي ، ٢٠٠٢ ، ط١ ، ص١٨٤ .

يشعر احد بقدره حتى لا تُتاح له الفرصة في التفكير في ما يستحق لأنه أذا اراد أخذ يبحث عن السبل للحصول على ما يريد ، وأن ينال ما يقابل عمله بوجه حق .

الفقر وعلاقته بالاستبداد والقهر :

وقد أستغرق الكواكبي في تحليل مخاطر الفقر ، وصلته الجدلية بالقهر وبالحرية والاستبداد ، وأسهب في بيان سلبيات اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء وكشف ببراعة دقة الخيوط التي توثق الفقر بالجهل ، وتربط الفقراء بأوتاد الاستبداد"[٤٧]" .

إن بحث الاستبداد والمال بحث قوى العلاقة بالظلم القائم في فطرة الإنسان لا يجتمع في يد الاغنياء الا بنوع من الغلبة"[٤٨]"، الشريعة الاسلامية جاءت بنظام اشتراكي جعل المسلمين كلهم متساوين في الواجبات والحقوق فالتساوي هو السمه المشتركة في الاسلام فجعل للفقراء حق معلوم في أموال الاغنياء من خلال الزكاة ،فالمولى عز وجل جعل الميراث يوزع على أهل المتوفي ولم يخص الله شخص فقط به ، والتشريع الاسلامي نهى عن الربا لما فيه من تضخم للثروات من دون عمل وسعي أما النظام الاشتراكي فهو نظام يؤدي الى التنمية الشاملة للدولة ،فكما جاء على لسان السعيد الإنجليزي "ان المسلمون لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم إذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر ، وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي "[٤٩] ".

أما السياسيون الاشتراكيون في المبادئ والأخلاق فينظرون إلى أن ضرر الثروات الفردية في جمهور الأمم اكبر من نفعها لأنها تمكن الاستبداد الداخلي فتجعل الناس صنفين :عبيدًا وأسياد ، وتقوي الاستبداد الخارجي فتسهل للأمم القوية التعدي على حرية واستقلال الامم الضعيفة"[٥٠]" ، عندما تجتمع الثروة في يد عدد من الافراد بالتأكيد سيكون جمع المال بطريقه غير شريفه وسيطغى عليه الظلم ولا يستطيع مواجهه أي قوى خارجيه لأنه ليس لديه قوة اقتصادية الى جانب افتقاره للأخلاق التي ساعدته على اكتناز الاموال ، لذلك فأن الحكومة الاستبدادية سبب في اختلال نظام الثروة فهي تجعل رجال السياسة والدين ومن يلحق بهم يتمتعون بقدر كبير من مال الدولة مع ان عددهم لا يتجاوز الواحد في المائة"[٥١]" .

---

[٤٧] إبراهيم البيومي غانم : مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية ، تقديم طارق البشري ،الشروق الدولية – القاهرة ، ٢٠١٠م ،ص٣٩ .

[٤٨] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق ،ص٦٥-٦٩.

[٤٩] السيد الفراتي : أم القرى ، مصدر سابق ، ص٥٣ .

[٥٠] عبدالرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق ،ص٧٣.

[٥١] أحمد أمين : فيض الخاطر ،ج٦ ،دروب للنشر – عمان ،٢٠١٨ ، ص٢١٦.

والحاكم المعتدل في طيب المال وخبيثة هو الوجدان الذي خلقه الله صبغة للنفس ، وعبر عنه القرآن بقوله تعالى " فألهمها فجورها وتقواها "[٥٢] ،وقد ذكر المدققون أن ثروة بعض الأفراد في الحكومات العادلة أضر كثيرًا منها في الحكومات المستبدة ، لأن في الأولى يصرفونها في افساد الأخلاق وايجاد الاستبداد ، أما في الثانية فيكون في الابهة والتعاظم إرهابا للناس"[٥٣]" ، ففي الحالتين شر ليس فيهما أقل من الأخر سواء في البحث عن الاستبداد أو ترسيخة وأن كان في الأولى مع وجود حكومة عادلة لن يكون أشر بل أخير للناس إذا كان من ثرواتهم نصيب للفقراء كما جاء في الشرع ، وكل ذلك يكون تحت حمايه الجنود فهم أيد الحاكم وأعوانه والقوة التي يبطش بها من يخرج عن طاعته ، وهو يؤكد حتمية الاستبداد مع غياب المراقبة ، ويكون في خدمتها احدى الوسيلتين العظيمتين : جهالة الأمة والجنود المنظمة ، وهما أكبر مصائب الأمم وأهم معايب الانسانية "[٥٤]".

بسبب السياسة المطلقة ولأن الكواكبي كان يرى ان منبع هذا الاستبداد هو الدولة العثمانية فأراد أن ينهي قبضتها على العرب لما وجد منهم من ظلم وتعسف ضدهم ، فسبب تأخر العرب المسلمين يرجع إلى خضوعهم لحكم الاتراك وتحكمهم في بلادهم واحوالهم ، حيث اتبع السلطان عبد الحميد سياسة الوحدة الإسلامية لإحباط المحاولات الخبيثة التي تقوم بها الدول الإمبريالية ، وأعطى العطايا والرتب وأرسل النياشين للقبائل العربية ؛ بهدف ربط المسلمين بالدولة العثمانية"[٥٥]" ، ولكن تلك المحاولة ليس حبا بالعرب أو الاسلام وهكذا إستغل الدين لكي يحافظ على حكمه السياسي الى جانب أنه تناسى وجود الدين وأصابه ما أصابه من تشويه لأجل المصالح السياسية ، وكذلك العرب الذين كانوا لا يمثلون في ملكه سوى عبيد لهم يحكمونهم فيطيعون ويظلمونهم فيصبرون .

ولقد وضع الكواكبي معيار طريف في معرفة درجة تمتع أي أمه بالحرية وهو البحث في لغتها لمعرفة ما تحتويه من كلمات التعظيم والخضوع ، فان كثرت هذه الألفاظ أصبح هذا دليلا على أن هذه الأمة مصابة بداء الاستبداد وان قلت فهذا مؤشر على عراقة الأمة في الحرية"[٥٦]".

---

[٥٢] عبدالرحمن الكواكبي :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق ،ص٦٨ .

[٥٣] المصدر سابق ،ص٧٤ .

[٥٤] السيد يوسف :عبد الرحمن الكواكبي –رائد القومية العربية وشهيد الحرية - ،مرجع سابق ،ص٤٩

[٥٥] سيف الله آرباجي :السلطان عبدالحميد الثاني (مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية ، دار النيل – مصر ، ط١ ،٢٠١١م ، ص٧٥-٧٦ .

[٥٦] السيد يوسف :عبد الرحمن الكواكبي –رائد القومية العربية وشهيد الحرية - ،مرجع سابق ،ص١٣٤ .

فالقيادات الفكرية المرموقة في العقد الاخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل عُرابي و وجمال الدين الأفغاني ،ومحمد عبده ، لم يطالبوا ابدا بالاستقلال التام عن الخلافة وإنما طالبوا بإصلاحها من خلال دستور وبرلمان منتخب ،أما رشيد رضا وعبدالرحمن الكواكبي فإنهم طالبوا بأن تكن الخلافة الإسلامية للعرب "[٥٧]"، لما وجدو من ضياع للأمه على يد الاتراك ، والذين تم وصفهم بأنهم إذا تدبروا وسيلة لتجديد حياتهم السياسية لا يجدون أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي"[٥٨]" .

وهذا يوضح مدى كرههم للعرب على الرغم من أن الخليفة مسلم ولكن كونه عربي يبغضونه وان كان ذلك فيه مضره للإسلام فلا مانع ، وإن تمسكوا بالخلافة فليس إلا شكلا ظاهرا لكي تظل القبضة في يدهم ، لقد فطن الكواكبي لأن التلقب بالخلافة والإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين ، أصبح الغشاشون يدفعون السلطان للتنازل عن حقوق راسخة سلطانية ؛لأجل عنوان خلافة وهمية ، مقيدة في وضعا بشرائط ثقيلة ، لا تلائم أحوال الملك ، ومعرضة بطبعها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم"[٥٩]" ، لذلك رأى الكواكبي أن لا فلاح لتلك الامه الا بأن يكون أمرهم في أيد العرب فكما جاء الاسلام للعرب بداية فهم طريق النجاة به مما حل به .

لذلك حصر أسباب فتور الأمة في أسباب (دينية – أخلاقية – سياسية)

وهى (توحيد القوانين وتشويش القضاء – التساهل في الانتخاب والتسامح في الأموال والمكافأت – وضع أنظمة مصادمة للشرع – التغافل عن العلم) "[٦٠]"

ولقد لخص الشاعر القروي رشيد سليم الخوري"[٦١]" هذا العصر بقوله :

فساد في الدوائر واختلالٌ وظلم في المحاكم والتواء

---

[٥٧] سعدالدين ابراهيم : في مسألة الوحدة وخسوف القومية العربية ،دار ابن رشد – القاهرة ،٢٠١٨م ،ص٣٧٥ .

[٥٨] محمد عمارة :عبدالرحمن الكواكبي الأعمال الكاملة ،مرجع سابق ، ص٤٨٢ .

[٥٩] المرجع نفسه : ص ٤٧٩ .

[٦٠] السيد الفراتي : أم القرى ، مصدر سابق ، ص١٣٨-١٤٦ .

[٦١] رشيد سليم الخوري الملقب بالقروي (١٨٨٧-١٩٨٤) أحد شعراء المهجر البارزين ولد بلبنان في قرية البربارة .

رشيد سليم خوري : موقع المعرفة ،أغسطس ٢٠١٦ . رشيد/سليم/خوري /www.marefa.org